في قضية وجود الأقطار الأخرى ومستقبلها، بل كذلك لأن الخطر الصهيوني يهدد جميع أقطار الوطن العربي، إما مباشرة عن طريق العدوان المسلح والتوسع، وإما بشكل غير مباشر عن طريق بسط النفوذ السياسي أو السيطرة الاقتصادية والاستغلال. وقد تأكد هذا الخطر الصهيوني من خلال حلقات التوسع ابتداء من عام النكبة (١٩٤٨) حتى عام العدوان الثلاثي (١٩٥٦) حتى عام العدوان الأكبر (١٩٦٧)، حتى مسلسل الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان منذ عام ١٩٦٩، حتى الغارة الجوية على المفاعل الذري العراقي في شهر حزيران (يونيو) عام ١٩٨١؛ حتى الغارة الوحشية على المناطق السكنية في بيروت يوم ١٩٨١/٧/١٧.

ومرة أخرى، ليست المسألة ايديولوجية أو معتقدية فحسب بل هي مسألة واقعية وحيوية، والصهيونية تعدّ الوطن العربي كله مجالها الحيوي وعدوها الذي تخطط للسيطرة عليه.

واذن، سوف يجري الحديث عن الطرف العربي بوصفه كلاً متكاملاً، وإن كانت ضرورات الدقة التاريخية والاعتبارات الحيوية تحتم التركيز على الدور الخاص للشعب العربي الفلسطيني من خلال الاطار العربي العام.

ثانياً: مرحلة ما قبل النكبة

١ ــ الطرفان الصهيوني والدولي: تطابق وتحالف

وليس من قبيل المصادفة أن يذكر الطرف الصهيوني في أول المعادلة بل أن هذا الترتيب مستقى من التطورات التاريخية للصراع ومبني على أسس سوف تتضح من خلال البحث إن كانت غير واضحة في ذهن أي من الناس. لقد كان الطرف الصهيوني هو الذي هيأ المؤامرة على فلسطين وأعد لها عدتها وتعامل مع الطرف الدولي (الاستعمار الاستيطاني) على هذا الأساس وعقد معه التحالفات والمواثيق، وحين استوى الأمر ونضجت «الطبخة»، جرى تصدير المؤامرة بأكملها إلى المنطقة التي تخصها، إلى فلسطين والشرق العربي. فاذن كان التحضير للصراع يدور أصلاً في أوروبا، في الخارج، وكان الطرف المعني أصلاً بالموضوع، وهو الطرف الفلسطيني بالمعنى الضيق والطرف العربي بالمعنى الواسع غافلاً عن الموضوع، ولم يدخل معادلة الصراع إلا في وقت متأخر، ومن الناحية التاريخية الخالصة كان دخوله بعد فترة واضحة من استواء المؤامرة، فحين عقد مؤتمر بال مثلاً لم تكن على الخارطة السياسية للعالم أية دولة عربية مستقلة. أما من ناحية الفعالية فقد كان دخوله في المعادلة ضعيفاً جداً ولم يتبين تأثيره إلا في وقت متأخر، وذلك بسبب معاناته من عوامل التخلف والاستغلال الداخلي.

وهكذا كان الطرف الصهيوني هو العنصر الأول زمناً وفعالية، ويمكن القول انه بدأ بالاعداد لـ«المشروع الصهيوني» قبل حوالى قرن من دخول الطرف الغربي في الصراع. ومع الطرف الصهيوني كان هناك أيضاً الطرف الدولي الذي كان على صلة كبيرة بالموضوع منذ البدء. وقد كان هناك تعامل قوى وتعاون يصل إلى درجة التطابق بين الطرف الصهيوني والطرف الدولي الذي كان يعني في القرن التاسع عشر «الاستعمار الاستيطاني ــ الكولونيالي» حصراً. واذن لم يكن هناك دياليكتيك في منشأ الصراع بل كان